المشرق

منظومات الوقائع الدستورية

للاب لويس شيخو اليسوعي

وصفنا سابقاً (٨١–٩٦) ما كان لاعلان الدستور في قلوب العثمانيين من حسن الوقع وكيف اورى الاعزاز قرائحهم فنظم شعراؤهم في ابراز عواطفهم تلك القصائد المطربة التي انتقينا منها بعض فرائدها في مقالة دعوناها بالحماسة الدستورية لما وجدنا بين شعر ناظميها والحماسات العربية من العلاقة والائتلاف

ومذ ذلك الحين قد جرت في انحاء الدولة عموماً وفي عاصمة تركيا خصوصاً امور خطيرة ووقائع اثيرة اهتزت لبعضها الالباب فرحاً وأدمت غيرها القلوب ترحاً فقامت الاقلام تتراوح بين وصف المسرات وتعداد المفجعات وتمثل ما يسيل في عروق تاليها من دم الغيرة النارية وعزة النفس والحرية. فرأينا ان نجمع تلك اللآلئ فننظمها في سلك واحد فانّ في جمع شتاتها وصوغ سبائكها اجود مثال لتعريف الآداب العصرية ولبيان الترقية العقلية في العشر الاوّل من القرن العشرين

وقد توفّر عدد تلك الآثار الادبية حتى انها لو جُمعت لتألّف منها ديوان كبير ولعلّ بعض الادباء يهتمّ في نشرها يوماً. وانما اثبتنا منها هنا نخبةً فقط بياناً لفضل اصحابها. وقد اتّبعنا في تدوين تلك الشذرات تاريخ الوقائع كما جرت بعد اعلان الدستور الى تاريخ هذا اليوم

١ قصائد عربيّة في الدستور وجمعيّة الاتحاد والترقي

انّ كثيراً من الشعراء وجدوا في مدح الدستور وجمعيّة الاتحاد والترقي مجالاً واسعاً اطلقوا فيه العنان لطرف قرائحهم فمما وقفنا عليه من اقوالهم بعد فصلنا السابق رائيّة

الشاعر الوطني عبد الله افندي البستاني قال فيها واصفاً لشقاء البلاد قبل الدستور:

لا آب عصرٌ لم تكن ساعاتهُ ألّا ليحييها الأبيُّ مصورا
قد كان يبكيهِ اليراعُ اذا بكى دمعاً تنظّم في الطروس سطورا
وتقي الكرى عنهُ مخافة ان يرى رؤيا يحبُّ لها مذعورا

الى أن قال:

فبشرة الدستور آب ذوو النهى من كلّ صقع يبصرون شهورا
وبنت رقاب المصلات لكل ذي رأي بهِ انقلب السيرُ بسيرا
وخلّتك حُجبُ الظلام وكم الى منهنك تحت الهلال الدورا
ان يذوِ غصنُ الروض في زمنٍ خلا فبنعمة الدستور عاد نضيرا

وقال شاعر مصر الشهير احمد شوقي بك:

يشرى البريّة فاصبها ردتيها عاد الخلافة بالدستور ساميها
لمّا رآها بلا ركنٍ تداركها بعد الخليفة بالشورى ونادیها

ثمّ وصف الشورى شاكراً للسلطان عبد الحميد على رضاهُ بها:

الرأي رأي امير المؤمنين اذا حارت رجال وضلّت في مراميها
والناهي شورى الله جاء بها كتابهُ الحقُّ يمليها ويمليها
حقنت عند غادة الجيش بها دم البريّة ارضاء لباريها
ولو منعتَ أريقت للعباد دما وطاح من لُجج الاجواد غاليها
ومن يَسُسْ دولة قد سُسْتها زمناً تحنّ عليهِ من الدنيا عواديها
اني ثلاثون حولاً لم تذق سِنَةً ولا استخفّك للذّات داعيها
سهّد الجفن تكدور الفؤاد بما يشقي القلوب تجنّي النفس عانيها
تكاد من صحبة الدنيا وخبرتها تُسيء ظنّك بالدنيا وما فيها

وقال في المساواة واتحاد العناصر:

الدين لله من شاء الالهُ هدى لكل نفس هوًى في الدين يثنيها
ما كان مختلف الاديان داعيةً الى اختلاف البرايا او تعاديها
محبّة الله اصلٌ في مراشدها وخشية الله اسٌّ في مبانيها
وكلّ خير بلاق في اوامرها وكلّ شر يوقّى في نواهيها

وختم بقوله:

يا شعب عثمان من عُربٍ ومن تركٍ حيّاك من يبعث الرقى ويحييها
ملتَ الذي لم يَنَلهُ بالقنا احد فاهنف «لانورما» «واحمد» «نابوليا»

وجاراهُ قيصر بك المعلوف معتمد الدولة العثمانية في سان باولو يمدح ابطال الدستور بقوله:

سلامٌ على الشورى سلامٌ على الجند سلامٌ على سيفِ ابن بنداد في الغمدِ
سلامٌ على الابطال في ساحة الوغى سلامٌ على من باتَ منهمُ في اللحدِ

ومنها:

لك اللهُ يا جيشَ ابن عثمان ناصرٌ فانت خليقٌ بالتجلّةِ والحمدِ
نصرتَ على الظلمِ المساواةَ والاخا ولم تكترث لا بالوعيد ولا الوعدِ
جعلتَ لنا الدستور اعدلَ حاكمٍ وكنّا رهيني ظلمِ محتكمٍ فردِ
اعدتَ حياةَ الورى بعد اذ غدت تعدُّ البقا من جملةِ الطالعِ النكدِ
فما كان من عيشٍ سوى الذلّ للفتى وما كان غير الموت للحرّ من وردِ

وختمها بقوله:

سلامٌ عليكم من فتى يعشق الوفا سلامٌ على الشورى سلامٌ على الجند

وقال شاعر آخر من مهاجري اميركا شبل افندي تاصيف دموس قصيدة طويلة وسمها بدار السعادة هذا مطلعها:

دارَ السعادة عاد المجدُ فابشري وربعُك اليوم ربعُ السعدِ والنعمِ
دارَ السعادة انت اليومَ آهلةٌ بالطائفين من الاحرار فاحتكمي
بالامسِ وجهُك بالظلمات ملتثم واليومَ بالنور اضحى غير ملتثمِ

الى ان قال:

نادى نيازي فحولَ الحرب حين بدا داه التقهقر يبلي الملك بالسقمِ
هيّا فقد مادتِ الدنيا بأنّتكم كم أُصيبت بداء البيّ والبرمِ

ثم وصف نهضة الجيش قائلًا:

هبّت من الجيش غوغاء لها سكنت من شدّةِ الخوفِ نفسُ الليث في الاجمِ
غالتْ الجيشُ لا ينفكُّ يشهرها حربًا تسيلُ دما الابطالِ كالديمِ
او ينشروا فوق اسطنبولَ ألوية السحريّة البكرِ تحمي في سيوفهمِ
ماجت فيالقهم موج الخضمِّ وقد ضجّت مُقشعرّ من تصهالِ خيلهمِ
وحتّموا ان يكون النصرُ قادمهم وان يسير الردى في جانب العلمِ
وعندما أعلن الجيشُ المسيرَ هوت معاقلُ الظلم عن جبنٍ وعن وجمِ
وغادر الظالمون الملكَ وارتحلوا منهُ بمزري بليسٍ عارٌ منهزمِ
فهّ من هيبةِ للجيش قد قصمت بالظالمين كفعلِ الصارمِ الخذمِ
واشرقت فوق اسطنبول نيّرة شمسُ التحرُّر نحو ظلمةَ القِدَمِ

فوحّدوا امّة من قبلُ مزّقها الـ ـتفريقُ في الدين والاجناسِ والقسَمِ
تألّقت دولـة الاحرار ماحيـةً آثار دولة ظلمٍ كالحٍ قَتِمِ
فطهّرت كل إفسادٍ وقد خضت كلبثِ غابٍ على موذٍ متقحمِ
تبغي بأمّتها العلياء منزلـةً تنالها بصحيحِ الرأي والهممِ
لا زلت يا دولةَ الاحرار ثابتـةً منيعةً لا تخافي غـدر مقتحمِ
فابقي لهم دولة الاحرار ساكنـةً دار السعادة في عزٍ وفي نعمِ

وعارضهُ تريل نيويورك سليمان افندي داود فقال قصيدة في معناها نختار منهـا الابيات الآتية:

صاح بوق الاخاء والحريّهْ وانسـاواة من فروق البليّـهْ
صاح بوق الانصاف والعدل حتى زعزع الارض والذُرى العلويّهْ
وابرى طُربيدُ الحقيقةِ يدوي كهزيمِ الرعود في تركيّهْ
حسِبَ الغربُ هبّة الشرق نوماً ورماها بأنهـا وهيـهْ
كذب الغربُ انّ في الشرق قوماً بشفار الصمصام شقّوا الدجيّهْ (؟)
صبروا حقبةً وماتوا كراماً وقليلٌ اولو النفوس الابيّهْ
رحم الله كلّ من مات حرًّا في سبيل المصالح الوطنيّهْ
ايها اليوسفورُ طوبك لارضٍ فيك قامت رواغماً عطريّهْ
كنتَ قبلاً خلواً من الطيب والبو م لقد بتّ روضةً صيفريّهْ
أغرق الظالمون فيك أناساً دون أن يأتوا منكراً او فريّهْ
بَيد أن الاحرار هبّوا اسودًا من مُنشّرٍ جسّة شرقيّهْ
قمزٌ يا شرقُ من غابر الاز مانِ واركب متنَ العلاء مطيّهْ
وانظر الغرب فهو ساهٍ حيثما ولقد اعمى في العُلى كرسيّهْ
ها زمان التعود ولّى وقد سا ن زمان النهوض يا تركيّهْ

وهذه ارجوزةٌ حيّا بها الحريّة الدكتور توفيق افندي سلوم فقال:

الحمد لله على الحريّهْ فهي اجلُّ منحةٍ سنيّهْ
كم سُفكت لاجلها دماء ومُزّقت لنيلها احشاء

ومن ابياتها العامرة قولهُ:

قد زال بل قد مات الاستبدادُ والظلمُ والجورُ والاستبادُ
وجاءنا السرورُ والهناء والعدلُ والسواء والاخاء
وجاءت الحريّة المزدهره وطيّبت قلوبنا المكدره
فرحبًا بها واهلًا مرحبًا يا ما أحلى ذكرها واطيبا
لكنّ بعض الناس قد اساؤوا تفسيرها فخبطوا ما شاؤوا

ما الحرُّ من يرتكب الجرائما ويفعلُ المنكرَ والمآثما
ما الحرُّ من يتملل الحياء سفاهةً ويكثر الهراء
الحرُّ ذو الضمير والوجدان والطاهرُ الفؤادِ واللسانِ
من لا يخاف في سبيل الحقّ لومًا ولا يقولُ غير الصدقِ
الحرُّ من يوقر الكبيرا تأدّبًا ويرحم الصغيرا
يعطي لكلٍّ حقَّهُ من الملا ولا يضرُّ احدًا ولا ولا . . .
هذا هو المراد بالحريّة ليس تعدّينا على البريّه

٢ مجلس المبعوثان — الارتجاعيّون

لا تقوم الحكومة الدستوريّة الّا بشورى تتألّف من رجالٍ ذوي خبرة وتروٍ يمثّلون الأمّة وينوبون عن افرادها . اما انتخاب هؤلاء النوّاب فيجري بمقتضى قوانين تختلف في كل بلد . ولا حاجة أن نثبت ما جرى في جهاتنا بعد ان رويتهُ الصحف السيّارة بكل تفاصيلهِ . وقد نجز تعيين المندوبين في اوائل كانون الاوّل من العام الماضي . وفي ١٧ منهُ افتتح السلطان عبد الحميد ذاك المجلس باحتفال عظيم اشتركت فيهِ كل الولايات وتكرّرت المظاهرات الشائقة التي جرت يوم اعلان الدستور . ومما قالهُ الشعراء في ذلك اليوم قصيدة انشدها عزتلو نعوم بك شتير يحيّي بها مجلس المبعوثان فقال :

رفاقي ردّدوا صوت المنادي الى الافراح في كل البلادِ
فهذا اليوم في الاوطان عيدٌ تسرُّ بهِ الحواضر والبوادي
وفيهِ يُشادُ للاصلاح ملكٌ على انقاض مملكة الفسادِ
وتأمل دارُ ندوتنا بأسد لهم في كل مأثرة ايادي
فسرّوا وارفعوا الرايات بيضًا فقد ادركتمُ اقصى المرادِ
وحيّوا اليوم جامعة الترقي وأهلوا شأنها في كل نادِ
فما يُرجى لمملكةٍ رقيٍّ ولا نصرٌ بغير الاتحادِ

وختم ابياتها الحماسيّة بقولهِ :

فهبّوا يا بني عثمان طرًّا فجاهد للعُلى خيرَ الجهادِ
ونهض كلّنا دينًا وجنسًا بإجماعٍ بكفٍّ يد العوادي
ونبني المجد صرحًا فوق صرحٍ ونجبي الثرّ بالبيض الحدادِ
وننصر راية الوطن المفدّى ويجاء النصر من ربّ العبادِ

ورحّب جناب الشاعر البليغ ولي الدين يكن المصري بنوّاب الدستور بقصيدة رائيّة مطلعها :

جلت النوائرُ للنوائرْ برحَ الخفاء عن الضمائرْ

ثم ذكر البؤس السابق:

بالامس كنا معشرًا يبكي لحالتنا المعاشرْ
تقتادنا الايدي الاثيمة للسجون او المقابرْ
ويصول انصارُ الملسيكِ على الأكابر والاصاغرْ

وانتقل الى وصف مجلس النوّاب بقوله:

فه قصرٌ شامخٌ مدُّ النوائرِ عنهُ قاصرْ
قصرٌ بهِ يعلو النها ي رأسَ مأمورٍ وآمرْ
ضاعت مفاتيحٌ لهُ واليومَ تفتحهُ الماهرْ
جُمعت مدارهُ فيهِ من كلّ القبائل والعشائرْ
يتشاورون بامرهم والله في عون المشاورْ
الآن لمّا صار ما خلناهُ دهرًا غيرَ صائرْ
وسمى الكريمُ الى الكري م موازرًا نعم الموازرْ
كادت بلاد الله تر قصُ حين اقبلتِ البشائرْ
لم يبقَ ظلمٌ يُتّقى دارت على الظلم الدوائرْ

وقد احسن في هذا المعنى جناب الشيخ علي النقي زغيب من شعراء بعلبك:

الفتحُ والنصرُ والاتيانُ والظفرُ والخيرُ والفوزُ والعمرانُ والاثرُ
مطالبٌ بعلوّ العزم يبلغها اهلُ العزائم لا من بالشقا اثروا

ومن ابياتها العامرة في وصف النوّاب:

فه درُّ رجالٍ للوغى نشروا لواء عزّ عليهِ يُعقد الظفرُ
باعوا نفوسًا ابتْ الّا العلى وأتوا امرًا عظيمًا لهُ حارت الفكرُ
واسّسوا بناءً للفخار شمخًا اضحى جنان المنى يُجنى بها الثمرُ
شادوا بهِ مامهُ للمجد بيت عُلًى اوتادهُ العدلُ والشورى لهُ دثرُ
فيهِ رجالٌ يهاب الدهر بأسهمُ مدرّبون على الانصاف قد فُطروا
لا يبتغيهم مالٌ ولا غرضٌ ولا يروّعهم خطبٌ لهُ خطرُ
فالامرُ شورى ورأي الكلّ متّبع والفوزُ منهُ بدا والنصرُ مشتهرُ
والملكُ كالجسم والاعضاء مجتمعهُ فان تفرّق انت شملهُ النبرُ

ومسك ختامها قولهُ:

يا شهر كانونَ كم ارويتَ من ظمإٍ وكم كويتَ قلوبًا منكِ وغرُ
اعجبتَ عيدالورى اذ فيكَ قد سعدت ايّامنا فهي تدعى في الورى غُرَرُ

وارثنا جنة والسعد أرخها يجيبها المجد مخصوص ومنحمر

ولجناب الشيخ مصطفى افندي الفلاييني في ذلك اليوم قصيدة اودعها مثل تلك المعاني واستهلها بهذا البيت:

حياة الحق موت اذا لم يكرم وموت امرئ في عزه خير منهم

ومنها في تقريع الظلمة:

اماتوا شعور الناس بالظلم جهرة وباعوهم بيع الرغيف بدرهم
فلا حكم الا العدل يا ظالم الورى فبالعدل والدستور لا غير فاحكم

على ان الدستور أصيب بضربة أولى لما اخذ كامل باشا يتصرف بالامور على هواه دون ان يرجع الى رأي مجلس النواب فأدى ذلك الى سقوط وزارته فقال شاعر بغداد معروف افندي الرصافي قصيدة غراء يذكر فيها تلك الاحوال:

سقتنا المعالي من سلافتها صرفا وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا
وزفت لنا الدستور احرار جيشنا فاهلا بما زفت وشكرا لمن زفا

الى ان قال:

تربع في صدر الوزارة كامل فحط من النقصان في وجهها حرفا
نقد اغضب الدستور فعلا ونية ومن اعانوا الدستور والشعب والصحفا
قد استوضحوا للأمر والامر واضح فدعواه ايضاح الحقيقة فاستفى
ولم يطلب الإمهال الا لانه رأى عذره ان لم يطل بكه زيفا
كذلك من صاغ الكلام ملفقا تمهل حينا يكثر الحط والحذفا
ومن قال حقا زانه عن بديهة ويحتاج للتفكير من ساء الخانا
فيا ايها الصدر الجديد انتبه به فاياك ان تطغى وان تنتشي النطا
ويا مجلس النواب سر غير عاثر الى المجد لا تلقى كلالا ولا ضعفا

ثم اخذت الامور بعد ذلك تختل بحيث استشف الشعراء من ورائها شرا وخافوا ان يقوم الاستبداديون لمقاومة الدستور فكتب في جريدة الشام صاحب العزة السيد بيكباشي اركان الحرب:

ارى خلل الرماد وميض نار ويوشك ان يكون لها ضرام
اذا لم يطفها عقلاء قوم وان وقودها جثث وهام
ارى الويلات تقعنا شديدا وتبتدئ الكينة والسلام
واركان السياسة في اضطراب ولا رأس يتم به الوئام

أرى الاهواء في هرج ومرج وحبلَ الأمن هدَّدهُ انفصامُ
وحالُ الناس تنذرنا امورًا يكونُ وراءها الداء العُقامُ
فان لم يعضد الوزراء حزمٌ فلا عجبٌ اذا قعدوا وقاموا
سماكنا تُطلُّ على شفيرٍ اذا لم يُنجها الصيدُ الكرامُ
وصحتُ من التعجب ليت شعري أأيقاظٌ بنوها ام نيامُ

وكثر وتتذ القال والقيل وكانت جرائد الاستانة تنشر المقالات المتضاربة يدق كل منها على طنبوره فقال الشاعر العراقيّ المفاق من قصيدة:

جرائد في دار الخلافة اقرمت لعمب خلافٍ بيننا غير خامد
فهذا الى هذي وذاك لغيرها من الصحف يدعو آتيًا بالشواهد
وما هي الّا ضجّةٌ كلُّ صائحٍ جسا مدَّ للدنيا حبالةَ صائد
اضاعوا علينا الحقَّ فيها تعمُّدًا وتقبى ضياع الحقّ سودُ الشدائد
ولم أرَ شيئًا كالجرائد عندهم مبادئهُ منقوضةٌ بالمقاصد
يقولون نحن المصلحون ولم أجد لهم في مجال القول غير المفاسد
فاياك ان تغتر فيهم فكلُّهم يجرُّ الى قرصيصهِ نارَ الموائد
على رسلكم يا قومُ كم تسمونا مقالة عودٍ طيبهِ وحاقد
ألا فارحموا بالصفح عن ضجّ صحفكم فقد اوردتنا اليومَ شرَّ الموارد
وما الصحفُ الّا ان تدور بنهجها مع الحقّ انّى دار بين المعاهد
وأن تنشر الاقوال لا عن طماعةٍ فتأتي جسا مشحونةً بالفوائد
وان لا تُماني غير نشر حقائقٍ وتنوير أفكارٍ واحياض قاعد
اتبنون في تلفيقها نفع واحدٍ وتنفضون عن اضرارها الف واحد
اسرك ان الصحف مرآة اهلها جسا تتجلّى روحهم للشاهد
كما هي ميزانٌ لوزن رقيهم وديوان اخلاق لهم وعوائد

٣ المرسك والبشناق (البوسنه) — استقلال بلغارية

من اوّل المشاكل التي قامت في وجه تركيا بعد اعلان الدستور مسألة المرسك والبشناق فانّ النمسا رأت الفرصة مناسبة للمجاهرة ببغضها الى بلادها خلافًا لمعاهدة برلين فاستاء العثمانيّون من ذلك وجعلوا يقاطعون البضائع النمسويّة واظهر الشعراء تحمّسًا عظيمًا فمن جملة ما كتبوا ابيات للشاعر المجيد شبلي افندي ملاط:

ألا من يبلغ النمسا كلامًا نسجّلهُ وتورثهُ البنينا
بأنّ عهودها كانت سرابًا وكان ودادها «بلغاه» مينا

وكان سكوتها قبلاً رثاء وآخر ما جنت طمعاً مشينا
وانا لا نريد جا امتراجاً ويبقى حقدنا داء دفينا
فلا تجد السنون الى التصافي سبيلاً ما تعاقبن السنونا
او النمسا تكفر عن ذنوب جنتها فاغتدت عاراً وهونا
ذنوبٌ ضجَّ منها العدل شرقاً وورَّث الغربُ اجمعهُ رنينا
اتحسبُ جارةُ الدانوب انا نُذلّ لمثلها يوماً جبينا

بيد انَّ هذه الأربعة حُلّت بعد حين بتساهل تركيا وتعويض مالي قدَّمتهُ النمسا. فقال محرّر الوفاء يوسف افندي مراد الخوري:

قد جاء في صُحف برلين الطيبة ما يؤكّد الأمل الصافي بلا كدرِ
ويأمل الكلُّ يرجون النهاية من امرٍ غدا شاغلاً للعقل والفكرِ
حكومةُ المجرِ والنمسا التي لبثت دوراً مهماً وكانت نجمة النظرِ
قد استعدَّت الى حسم الخلاف بما فيهِ السلامُ ودفعُ الخوف والضررِ
تُريد تعويض تركيا التي طلبت مالاً كثيراً ولم تمتد الى الضجرِ
عشرون مليون دولار هو القدر المطلوب منها وهذا صادقُ الخبرِ
لانها امتلكت صقعين خارقة عهداً ببرلين لا ينفكُّ ذا صورِ
ولم تكن قبلُ ترضى الدفع جانحةً الى التريُّث جنبَ الصارم الذكرِ
لكن رأت انَّ تركيا تناقشها مرَّ الحسابِ بصدرٍ (١ قُدَّ من حجرِ
فاذعنت للمطالب التي ذكرت وكان فوز عظيمٌ باهر الأثرِ

وكذلك بلغاريا استنزفتها نشوة الحرّية فأعلنت باستقلالها. اذ الدولة العثمانية فتصدَّت لمطامعها وتمادت بحقوقها ولم تزل تطالبها بها حتى راضتها بلغاريا بمبالغ وافرة فانقشعت تلك السحابة بعد ان تفاقم الامر وكاد يبلغ السيل الزُّبى. وكان اشار الى الامر الشاعر السابق بقوله:

كذاك بلغاريا لا شكَّ دافعةً مالاً بهِ حسمُ ذاك المشكل العسرِ
وحلُّ بعضِ قضايا اصبحت ضرماً في الشرقِ للحرب والاموالِ والبشرِ
لذاك عمَّا قريب سوف تنظرُ في مرابعِ الشرق سلماً غير منتظرِ
وتُغمَد البيضُ في تلك الجفونِ بلا سفكِ الدما واغتيال الحرب للبشرِ

ثم قال بعد ذلك ينوّه باتّفاق الدولتين:

انَّ بلغاريا استقلَّت وصارت تبتغي بذل الاصغرِ الرنانِ

(١ اي الصدر الاعظم كامل باشا

رضيت تركيا جذا واست لا ترى في الرضاء معنى الهوان
وانقضى ذلك الخصامُ بسلم رضيَتْهُ السيوفُ في الاجفانِ
يا إله السلام وطِّدْ على الار ضِ سلاماً معزِّز الاركانِ

٤ حوادث نيسان — الثورة في الاستانة والولايات — ظفر الاحرار

دخل نيسان والناس في انتظار لا يدرون ما ستؤول اليه امور الاستانة وقد كثرت فيها الاحزاب وتألفت الجمعيات الارتجاعيَّة القائمة في وجه الدستور كالجمعيَّة المحمَّديَّة والاتحاد المحمدي . وكان للسلطان عبد الحميد في هذه الاحزاب يدٌ محجوبة وراء قصر يلدز فبُثَّت العيون ونُشرت الاوراق الثوريَّة مستترةً في طيِّ الشرع والدين وانضوى قسم من الجنود الثائرين الى الحزب الاستبداديّ فاحيوا معالم الفتنة في دار السلام واصبحت العاصمة كمدار حرب كادت تدور فيها الدوائر على الدستور وذويه وقُتل كثير من الضباط وذهب وطنيُّنا واحد طلبة كليتنا سابقًا الامير محمد ارسلان مبعوث اللاذقيَّة ضحيَّة شهامته فافتدى كلَّ هؤلاء الدستورَ بدمهم وقد رثى شعراؤنا جناب الامير بقصائد ومُقاتة منها قول الاستاذ الفاضل الشيخ سعيد افندي الشرتوني من ابيات :

هل للملاء سوى اثياب السود ام للوفا الَّا بكا المتحودِ
اطفأتَ يد الشغب الاثيمة شعلةً كانت ضياء في الخطوب السودِ
حرموا البلادَ محمَّدَ ابن المصطفى غوث تكاليف ومنقذ المجهودِ
فلذاك تركيا الفتاة حزينةٌ كالامّ قد سُلبت بقتل وحيدِ
لُمن القسادُ وكلُّ من يسعى به جهل الالهُ رجالهُ كشهودِ
صبرًا بني رسلانَ ليس فقيدكم يمضي كزرعٍ اخضرٍ مخصودِ
فعلى الهمام المفرح تبقى عزَّةٌ تُلقي الظلال على ضريح عميدِ
وجنيب دستورَ البلاد غايةٌ فبموت شانئهُ مماتُ حسودِ
هذا العزاء عن الامير محمد ليس العزا بالمشهد المشهودِ

وقال نسيم افندي العازار يصف شهامة الامير في موته :

قدم الشهمُ والضراري قيامٌ في ايادٍ هم الهلاكُ مصوَّبْ
لم تَرُعْه تلك الذئابُ وأنّى يرهبُ الليث من يُجرِّد اهدبْ
فابرى بمرقُ الجرحَ أنوقًا ثابت الجأش والجبينُ مقطَّبْ
فأتى المجلسَ الذي ولكن نُشب الحرُّ في الهوى سوْ منشب

فرماهُ وا لهفتاهُ عليهِ بسنان الصفاح مَنْ لم يخَفْ ربّ
فهوى هادئًا وخرَّ صريعًا ذلك الشاب في دماهُ مخضّبْ
انما قال قبل ان فارقتْهُ روحهُ والمقالُ في الصدر يُكتَبْ
هانذا قد قضيتُ فرضي فاقضوا يا رفاقي فرضًا اعزَّ واصعبْ
ثمّ حيّنا يا من قضيتَ كريمًا وعلى فقدك الورى يتلهّبْ
انَّ تلك الدماء ثُثأرُ يومًا وعلى الظالمين قد تتلبّبْ

على ان الأحرار لم يرضوا بالرجوع القهقرى فما كان من زعمائهم كأنور ونيازي وشوكت الّا ان ضمّوا القوى وشمّروا عن ساعد الجدّ فزحفوا الى الاستانة لنصرة انصار الدستور وتأييد الحرّية فانشد في ذلك محرّر الميزان اسطفان افندي غلبوني قصيدتهُ التي مطلعها :

ظروف الزمان ألا أنصري وعهدًا برمّتهِ لا تمتري
أرى السكر الحرَّ في زحفةٍ فسيري دوامًا مع السكرِ
ولا تتركي مُظلم النقل يلقى م انتصارًا على البطلِ الانورِ
ألا لا انالَ الالهُ مرامًا لأعداء دستورنا المزهرِ
ألا ليكن نصر ربك للجيش م عسكر احرارنا المظفرِ
ألا حقّق الله هذا الرجاء بتأييد عصر اللي التيرِ

وقال جناب معروف افندي الرصافي ابياتًا غررًا عارض فيها المعلّقة الكلثومية :

لقد سمعوا من الوطن الانينا فضجّوا بالبكاء لهُ حنينا
ونادام لنصرته فقاموا حميًّا للدفاع مسلّحينا
ونادوا من مضاربهم اسودًا بصوت الاتحاد يزمجرينا
شبابٌ كالضراغم في مضاء يُرُونَ وكالشموس منوّرينا
لقد جمعوا الحشوع فمن نصارى ومن هودٍ هناك ومسلمينا
هي الاوطان تجمل في بنيها اخاء في محبّتها رصينا
وتتركهم أولي أُنف كبار يرون حياة ذي ذلٍّ جنونا
وانَّ الموت خيرٌ من حياة يظلّ المرء فيها مستكينا
مشوا والوالداتُ مشيّعاتٌ خرجنَ وراءهم والوالدونا
يقلنَ ومنَّ من فرحٍ بوافٍ وهم من حزنهم متبسّمونا
على الباغين منتصرين سيروا وعودوا للديار مظفّرينا
ولا تبقوا الذين قد استبدّوا وراموا كيدنا وتمرّدونا
فان لم تنقذوا الاوطان منهم فلستم يا بنين لنا بنينا...

وكم قد قلنا من قولٍ شجيٍّ لهم فتركْنَهم متهيّجينا
ومذ حان الوداعُ دنونَ منهم فقبّلن الصوارمَ والجفونا
وما أنسى التي برزت وقالت وقد اقذوا لرؤيتها العيونا
ألا يا راحلين لحربِ قومٍ لئام ضيّعوا الوطنَ الثمينا
خذوني للوغى معكم خذوني ممرّضةً لجرحاكم حنونا
وان لم تغطوا فخذوا ردائي بهِ شدُّوا الجروحَ اذا دمينا

ومنها في وصف الظفر:

اتيا دار قسطنطين صبحاً وقد فُتحت لهم فتحاً مبينا
وظلّ الجيشُ جيش الله يشفي بحدّ سيوفهِ الداء الدفينا
فاهرق انفس الطاغين حتى سقاهم من عذابهِ المنونا
وردّ العاثنين الى جزاء احلّهم المقابر والسجونا
وحطّوا قصر يلدز عن سماه لهُ فاخطّ اسفل سافلينا

وكان امل الاستبداديين ان تنتشر الثورة انتشار الوباء وتشبّ شيوب النار في انحاء المملكة وكانوا لهذه الغاية ارسلوا سرًّا الى كل ولاية يأمرون اهلها باثارة الفتن لكنّ تلك الاوامر لم تلق اذنًا صاغية الّا في ولاية آطنه وما جاورها الى نواحي انطاكية حيث قُتل الوف من الارمن وتجدّد من الفظائع في التنكيل بهم ما احيا ذكر مذابح سنة ١٨٩٥ في الاستانة وديار بكر ومعمورة العزيز وسوّد بصفحة جديدة تاريخ تركيّة . وقد وجد الشعراء الاحرار في تلك النكبة الهائلة مجالًا واسعًا لبثّ لوعات قلوبهم وابداء شواعرهم . فقال نعوم افندي مكرزل منشئ الهدى يمثل ارمينيا منطرحةً كالثكلى على قاعدة الصليب:

سجدتْ تناجي ربّها بدموعها والنارُ بين فؤادها وضلوعها
غيداء من عود الصليب توقّعت أن يرأب المصلوبُ بعض صدوعها
أنّت كما انّ الصريعُ مقرّحًا بدمائهِ من بعد لثم رضيعها
زوجان من قبل الفراق تعانقا للموت في قتلٍ وفي توديعها
نشرت ذوائبها حِدادًا بعدهُ ورثتْهُ كالورقاء في ترجيعها
هذا السوادُ على المصيبةِ شاهدٌ من ثوبها من عينها من دُرعها
فُصل الخطاب بشفرة التركي اذ قطرت دمًا مسلولةً بربوعها
فمن الصليبِ دمٌ يسيل ممازجًا تلك الدماء غيمها بنجيعها

ارمينيا أبكي بالدموعِ سخينةً فالفوزُ عند سخينها وهموعها

والشمس تسمح للظلام بوقفة سوداء بين غروبها وطلوعها
لا تيأسي فالله يكشف ظلمة تتألق الانوارُ بعد وقوعها

وهو القائل :

اذا كنت يوم الحرب بالسيف فاتحا فلا تكُ يوم السلم بالسيف ذابحا
ولا تكُ والدستورُ اضحى فخارنا على ذلك الطغيان للدم سافحا
فقد ملأت اشلاؤنا كلَّ حفرة واطفالنا والامهات البطائحا
عُراةٌ على ذاك الفراء تناثرت عصائب ايتامٍ تبعنَ النوائحا
كأنْ غلاة الترك قد صافحوا الألى يعادونهم حتى يسأوا الصفائحا
فما استمرأوا الّا الدماء سوائلًا ولا استهنأوا الّا اللحومَ شرائحا
ومن لم يكن عن قدرةٍ متسامحًا فلا يرجونَّ الله للذنب صافحا

وممّن رثى لضحايا الارمن من شعراء المسلمين سعادتلو ولي الدين بك يكن وله قصيدة غرّاء امتدحها الأدباء اوّلها « ارحمي يا قلوب هذه الضحايا » ولم نحصل منها على نسخة لننقل منها بعض غُررها . ومثلها حسنًا قصيدة لصاحب العزّة نعوم بك شقير دعاها النجدة هذا مطلعها :

من لي بمعرفة الاثيم الجاني الجالب الويلات للاوطانِ
من ذا الذي اجرى الدماء جداولًا وأثارَ حربًا في بني عثمانِ
مَن افسد الاصلاح في ابّانهِ وشدَّد الآمالَ بالحرمانِ
أترى هو الجهلُ المتمُّ بأرضنا ام هل وراء الجهلِ سرٌّ ثانِ
ام هل وراءها تمدُّد جنسنا وتضاربُ النزعات والاديانِ
ام هل هنالك للسياسة من يدٍ ام انَّ مذهبَ سنَّةُ العمرانِ
فله اشكر يا ضحايا آدنا فله اشكر قسوةَ الانسانِ
اشكر فظائع فتنةٍ في امّةٍ سفكتْ دم الاقران بالاقرانِ
وقضت على ابنى المدائن والقرى حرقًا بمن فيها من السكّانِ

ثم عدَّد ما جرى هناك من ضروب المآثم وختمها بابيات جميلة استطرد فيها جود المحسنين واهل المروّة لسدّ حاجات الالوف من المنكوبين بعد مذابح آطشه وحرق مساكنهم وختمها بقوله :

طوبى لجند المحسنين فانهم ظفروا ببيّنهم من الرحمانِ
لهم السعادة في الحياة وبعدها لهم الخلودُ بجنّة الرضوانِ

ومن القصائد المشهورة بعواطف قائلها وغيرته النادرة قول حبيب افندي فارس زين :

ارمينيا ! . . . تزل القضا بفنائها فتقضي على ارمينيا بفنائها
رضخت امام السيف خاشرة القوى والسيفُ لم يحفظ عهود ولائها
هُرقت دماء فتيّها وفتاتها مُزجت دموعُ ثكالها بدمائها
ضجّت ونادت تستغيثُ وتشتكي هل سامعٌ يرثي لمرّ ندائها؟ . .
فالسيف يلعبُ في رقاب رجالها والنارُ تلعبُ في صروح علائها
واموت بينهما يروّعها وقد ضاقت مساحتُها على اشلائها
ارمينيا لا ذنب جاءتهُ سوى دين ابن مريم ملجى ابنائها
فبكت على عود الصليب واعولت تستنجدُ العالي بقطع رجائها

وقال الشاعر ميخائيل افندي رستم من تخميس :

يا هل ترى والدهرُ عصرُ غدْرِ كيف استحلّ الترك قتلَ الارمن
أبَعيرةٍ في الدين عند المؤمنِ أم كان اكراماً لذاك المُنتمي
نيرونَ او عبد الحميد الثاني
اسناهُ قد حرقوا المدائنَ والقُرى ما ضرَّ لو كانت لهم بار القِرى
لجبانهم كان الجمادُ تأثّرا لا للمذابح حيثما ابتلّ الثرى
بدم القتيل وادمع الجوعانِ
فالى متى لا تُصلَح الاحوالُ ويزول من تلك الرُّبَى البلبالُ
حتى التساوي والاخاء يُنالُ من بعد ما تتعاقبُ الاجيالُ
يوم القيام بحضرة الديّانِ

وكأنَّ صوت دماء اولئك القتلى تصاعد كصوت هابيل الى عرشهِ تعالى فضرب الله ذلك المجرم العظيم الذي كان سبب تلك المجازر واقام لهُ خير خلفٍ

٥ عبد الحميد الثاني – والسلطان رشاد محمّد الخامس

كان اليوم السابع والعشرون من نيسان يوماً مشهوداً في الاستانة العليَّة فيهِ خُلع سلطان وبويع سلطان . خُلع بفتوى شيخ الاسلام ذلك الرجل القدام الذي لم يزل بسطوتهِ وشدَّة مراسهِ يصارع الدهر حتى اذ قيل انهُ فاز بالمرغوب وقع صريعاً بطعنةٍ قطرتهُ فكادت تذهب بحياتهِ وسلطتهِ معاً ثم نُقل سجيناً الى سلانيك . فكان لهذا الامر الجلل دوي عظيم بلغ صداهُ اقاصي المعمور وقد استرسل الشعراء في وصف تلك الواقعة . فقال امير شعراء العراق معروف افندي الرصافي :

هوى عبد الحميد بهِ هوياً الى درك الملوك الظالمينا

فأنزل من سرير الملك خاماً وأفرد لا نديمَ ولا قرينا
وسق الى سلانيكَ احتباساً لهُ كي يستريح بها مصونا
ولكن كيف راحةُ مستبدٍّ غدا بديار احرار سجينا
يراهم حول مسكنهِ سياجاً ويعجزُ ان يُنيم لهم عيونا
وموتُ الموت خيرٌ من مقامٍ لهُ بين الذين سقوهُ هونا

وقال شاعر مصر حافظ افندي ابراهيم الذي طالما مدح عبد الحميد وقت عزّته يصف خلعهُ :

لا رعى الله عهدها من جدودِ كيف امسيتَ يا ابن عبد الحميدِ
مُشيح الحوت من لحوم البرايا وجميع الجنود تحت البنودِ

ثم قابل بينهُ وبين نابوليون الكبير بعد نفيهِ الى جزيرة سنت هيلين :

يا اسيرًا في « سنتِ هيلين » رحّب باسير في « سالنيك » جديدِ
قُلْ لهُ كيف زال ملكُكَ لم يَعْـصِكَ اعدادُ عُدّةٍ او عديدِ
لم تَصُنْكَ الجنودُ تفديك بالار واحِ والمالِ يا غرام الجنودِ
قُل لهُ كيف كنت كيف ملكت م الارضَ كيف انفردتَ بالتسجيدِ
فثلاثَ العروش عرشًا فعرشًا وصبغتَ الصعيد بعد الصعيدِ
كلّما نلت غايةً لم تنلها همّةُ الدهر قلتَ: هل من مزيدِ
ضاقت الارضُ عن مداك فأرسلتَ بطرْفٍ الى السماء عنيدِ
قُل لهُ جلَّ من لهُ الملك لا يا سلكَ لغير الميسن المجودِ

ومنها في بكاء عبد الحميد لما طلبوا منهُ ان يعتزل :

أصبيحَ بكيتَ لمّا انى الوقـتُ ونابتك رعشةُ الرعديدِ
ونسيت الإباء والمجدَ والبـ ـأسَ والعزَّ يا كريم الجدودِ
ما عهدنا الملوك تبكي ولكن علّها تروةُ الفؤادِ الجليدِ
علّها دمعةُ الوداع لذاك الملـ ـك او ذكرةٌ لتلك العهودِ
غسّل الدمعُ عنك حوبةَ ماضيـ ـكَ فوقّاك شرَّ يوم الوعيدِ

وقال امام الادب ونابغة شعراء مصر سعادة احمد شوقي يصف تلك الحادثة :

سَل يلدزًا ذات القصورْ هل جاءها نبأُ البدورْ
لو تستطيعُ اجابةً لبّتك بالدمع الغزيرْ
اخفى عليها ما اتا خَ على الخورنق والسدير
ودها « الجزيرةَ » بعدَ ما اسماعيل والملك الكبيرْ

ذهب الجميعُ فلا القصو رُ تُرى ولا اهلُ القصورْ
فلكُ يدور سعودهُ ونحوسهُ بيد المدبرْ

ومنها يخاطب عبد الحميد:

عبدَ الحميد حسابُ شـ ـعبكَ في يدِ الملك الغفورْ
سدتَ الثلاثين الطوا لَ ولستَ بالحكم القصيرْ
تنهى وتأمر ما بدا لك في الكبير وفي الصغيرْ
كم سبّحوا لك في الرخا ءِ وألّهوك لدى البكورْ
خفضوا الرؤوس ووثّروا بالذلّ اقواسَ الظهورْ
ماذا دهاك من الامو رِ وكنت داهية الدهورْ
دخلوا السريرَ عليكَ م يتكون في ثوب الحريرْ
أعظِم بهم من آمريـ ـنَ وبالخليفةِ من اميرْ

وقال يصف بسالة شوكت باشا فاتح الاستانة:

يا شوكتَ الاسلام بل يا فاتح البلد الكبيرْ
هل كان حدُّك في ردا ئك يوم زحفك والكرورْ
فقنصت صيّاد الاسو د وصدتَ قنّاصَ النسورْ
واخذت بلدز عنوةً وملكت عنقاء المنارْ

وسابق احمدَ شوقي شاعرٌ آخر مصري وهو وليُّ الدين بك يكن فنظم في بحر القصيدة السابقة وقافيتها وجاراها في معانيها وبلاغتها. وقصيدتهُ طويلة نختار منها قولهُ في عبد الحميد:

انَّ الزمان بنرْ ثمّ م يُذيق عاقبة الغرورْ
فمشى الزمان اليك بالا م حزانِ من بعد السرورْ
قد كنت ذا القصر الكبير م فصرت ذا البيت الصغيرْ
وربيتَ في مهد الامير م ولم تَمُت موت الاميرْ
لمّا سلبتَ الحكمَ قلتَ م «الحكم لله القديرْ»
هل كنت ترضى اوّلا ما قلتَ في الزمن الاخيرْ
ورآك جندُك ضارعًا لهمُ ضراعات الاسيرْ
انَّ الثلاثين التي مرّت بنا مرَّ الدهورْ
وهبتك تجربة الامو رِ فعشت في جهل الامورْ
ورددتَ عارية الخلا فةِ بعد ذلك للسميرْ
من كان يدعوك الخبيرَ م قلتَ عندي بالخبيرْ

وكان من فرسان هذه الحلبة الشاعر الحكيم اسماعيل باشا صبري فقال معارضاً لرصفائه وملمحاً الى براكين صقلية وزلزال مسينة:

يا ناظر الترك قد فارت مراجلهم ... بين الدروب وفي عرض الميادين
قل للبراكين كفي نحن في شغل ... ذا اليوم عنك بركان البراكين
هل الجبال الرواسي عندها خبرٌ ... بما تصدّع من شُمّ البرانين
وهل رأى الشّعر شيئاً في السماء حكى ... ما هزّ يلدز من بأس الشواهين
قالوا لقد خرّ من صرح العلى رهوى ... ذو السلطنين ورب الكاف والنون
أهول بما صيحة في الكون فاصفة ... تزلزل الارض من حين الى حين

ثم قال يخاطب العظيم الساقط:

عبد الحميد سيُحصى ما صنعت غداً ... بين الأنام ويُلقى في الموازين
ان يرجح الخيرُ نعم الخيرُ من عمل ... دخلتَ في زمرة الغُرّ الميامين
او يغلب الشرُّ لا كانت عصابتُهُ ... عُددتَ في صرحه اقوى الاساطين
ان لم تكن لا ثناك الله عن أمد ... شيخ السلاطين كُن شيخ القراءين
انا عهدناك لا ترضى اذا استبقت ... صيدُ الملوك الى الغايات بالدون
يا طالما الملك امسى حلُّ عقدته ... سرّ الملائك او سرّ الشياطين
لا برحت فتنك حكمُ الناس فهو غداً ... سنافذٌ عند سلطان السلاطين

وقال جناب ادوار افندي مرقص من قصيدة يصف خلع عبد الحميد:

الى صاحب التاج الرفيع مقامهُ ... الى ابن السلاطين المهيب مواكبهْ
الى مالك الأعناق غير مدافع ... الى حاجز الارزاق لا من يحاسبهْ
الى الواسع الشّعبى الى الحافل الدما ... الى شامل الدنيا فليست تناصبهْ
الى الوقد عالي الهام والصوت عابساً ... يقول: اخلع التاج الذي انت ناكبهْ
وكان وراء الوقد جيشٌ وامّةٌ ... وجُرأةُ بأسٍ معجزاتٌ عجائبهْ
فأذعن جبّارُ الملوك وأرعدت ... فرائصهُ واستأذن الجفنَ ساربهْ
وحيّا بكلتا راحتيه تفرُّعاً ... ليُبقي لهُ ذلّ الحياة معاقبهْ
وكان زمان ان اشار باصبع ... فتلك حياةٌ او هو الموت جالبهْ
فيا بالهُ اذ هذّبوا عزّ ملكهِ ... اضاع اختياراً عزّ نفس تصاحبهْ

وقال المسمى وسخ في مرآة الغرب من قصيدة:

مضى عبد الحميد الى مكان ... رمت فيهِ أمُّ قشعم الرحالا
مضى ولهُ بفعل الشرّ ذكرٌ ... بما ذكر الألى كانوا مثالا

مليكٌ قد تسربل بالمعالي وعمَّ الارض غدرًا واحتيالا
اميرَ المؤمنين دعوهُ زورًا فكان الذئبَ لم يعرف حلالا
الى كل المحارم والدنايا وخان الدينَ عمدًا والرجالا
واسهر موجباً طَرَف الليالي فعادت من فعائلهِ حيالى
عدوَّ الدين والاسلام هلَّا علمتَ بانَّ في الدنيا زوالا

ومن القصائد الحسنة التي تليت في ذلك قول بشاره افندي عبد الله الخوري:

تبَلَّلَ الشرق حاذري ان تميدي سقطَ العرشُ عرش عبد الحميد
قهرى ربهُ وكانت على رجسليهِ ضوي قبلًا وجوهُ الصيد
سُنَّةٌ لزمان عزٌّ وذلٌّ فسحا بين سيدٍ ومسود
صاحبَ التاج اين انت من التا جِ ومن صولجانك المفقود
صاحب العرش اين انت من العر شِ وقد كان محكم التوطيد
صاحب الدولة التي كنتَ منها في مقام المهيمن المعبود
اين تلك الشفاه تلثم رجليـ ـك وتدعو للملك بالتأييد
والرؤوس المطأطئات الى الار ض قياماً بواجبات السجود
والارادات اين تلك الارادا تُ الميداتُ كلَّ حرٍّ شهيد
ذهبتْ مثلما ذهبتَ وبادت مثلما بدتَ يا ابن عبد الحميد

ومنها:

ابو عبد الحميد حدِّث عن الدهـ ـر وحدِّث عن يومك المشهود
عبرةٌ انت للورى وسنتها اصبحُ الله في كتاب الوجود

ومثلهُ لميخائيل افندي رستم من ابيات يصف زحفة جيش سلانيك وعزل السلطان:

اذا جيوشٌ من سلانيكَ اقبلتْ وشركتُ باشا في الكفاحِ مجرَّبُ
احاط وذاك الجيشَ من حول يلدزٍ وقد فكَّر الفتَّاحُ من اين يهرب
فألقوا عليهِ القبض بعد اتفاقهم على خلعهِ والشيخ فتواهُ يكتبُ
وحجتهم كانت عليهِ بانَّهُ ملايينَ اموال الرعيَّةِ يسلبُ
ألا وابو الاحرار من صوب مكَّةٍ ينادي: بحقي انت انت المسبَّبُ
وصوتُ دم الابرار لا زال صارخًا امام السما والارض انك مذنبُ
مظالم نيرونَ التي قد احدثتها بنا مثلما عذَّبتنا تتعذَّبُ
ويُحذَر في البسفور من تضحياتهِ حدوثُ ارتطامٍ كلَّما مرَّ مركبُ
وتحت امتحانٍ كيريٍّ قتلهُ سياهٌ وثلثاهُ دمٌ فتعجبوا
فكم دسَّ للاحرار من اقترانهِ كأفعى ومن عاداتها تتقلَّبُ

كفرعون قسّى قلبهُ فاذا بهِ من الصخر والصوّان اقسى واصلبُ
فجوزي بما جازى وهذي حقيقةٌ جزائيّة والله نعم المؤدّبُ

ولشاعر لبنان شبلي افندي الملّاط قولهُ :

تباركتِ الفتوى بحلمِ مسلّكٍ تناهت من الدنيا اليها المدائحُ
عليها من الشرع الشريف شمائلٌ ومن سوَر القرآن ما الدينُ شارحُ
تهادى بها الاسلامُ تيهاً لاضًا مشاعلُ من نور الهدى ومصابحُ
بكى عندها عبد الحميد وطالما توالت عليهِ من ذويها النصائحُ
فاذعن مظلوماً وسلّم كارهاً وطابت من الشورى اليهِ القرائحُ

ومنها :

وُطئت على سفحِ الدماء وشاهدي اموك الذي قد قال انك سافحُ
وانك ان وليت ملكاً يكن بهِ لشبك يوماً جندلٌ وصفائحُ
فذق من طعام السجن ثم أبِنْ لنا أسُمٌّ طعام السجن ام هو مالحُ
وكفّر عن الماضي وما أثمت بهِ يداك لعلّ الله في الحشر صافحُ

واذ كان ملك الملوك يخذل ذلك الجبّار بعد عتوّهِ ويزلهُ عن كرسيّهِ الى الحضيض والسفال رُقّي على عرش آل عثمان اميرًا دهستهُ باستبداد لخيهِ كوارث الحدثان فعركتهُ سنين طوالاً عرك الاديم ولمّا عرفت قدرهُ سالتهُ ودعتهُ الى مالك آبائهِ فنودي بالامير رشاد سلطاناً باسم محمد خان الخامس ولمّا جلس على اريكة الخلافة تزلّفت ألسن الرعايا بالدعاء وانتظمت درر الشعر في اسلاك قصائد المهنّئين فقال حافظ افندي ابراهيم :

حيّ عهد الرشاد يا شرقُ وابلغ ما تغنّيتَ من زمان بعيدِ
قد تولّى محمّد الخامس الملـ ـكَ فأعظِمْ بتاجهِ المقصودِ
طأطئي للجلال يا اسم الأمـ ـير سجودًا هذا مقامُ السجودِ
علم الله انّ عهد رشادٍ خيرُ ظلٍّ يردهُ كلّ رِيدِ

وقال شوقي باسم اهل مصر :

المؤمنون بمصر يهدون السلام الى الامير
ويبايعونك يا محمّدُ في الضمائر والصدور
قد أملوا لك لا لهم حظّ الاهلّة في المسير
فابلغ بهِ اوج الكما لِ بعونهِ الله النصير
انت الكبيرُ يقلّدو نك سيف عثمان الكبير
بشرى الامام محمّدٍ بخلافة الله القدير

بشرى الخلافة بالامـا م العادل الترهِ الجديرْ
الباعث الدستور في الإ م سلام من حفر القبورْ
اودى معاويةٌ بهِ وبمثلهُ قبل النشورْ
فعلى الخلافة منكما نورٌ تـلألأ فوق نورْ

وقال سيادة ايليا مطران صور وصيداء على الروم الارثدكس:

بحولِ الله تمَّ لنا المرادُ وأولانا الامانيَّ الرشـادُ
بشائرملكهِ في الكون رنَّت مثانيها لهـا طربَ الجمادُ
وقد جلسَ محمَّد في نفوس م الرعايا والرشادُ لهـا عمادُ
ومن يبغي الدلي ارّخ تقيمِ بنو عثمان فيهِ لهم رشادُ

وقال الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف يوم تنصيب جلالتهِ من قصيدة نشرت في جريدة العصر الجديد التي كان يحررها بدمشق:

تولّى عرش عثمانٍ رشادُ فقرَّ الشعب طرًّا والبلادُ
وعزَّ الامن من بعد اضطراب وعمَّ شعوبَ تركيـا اتحادُ
رعى الرحمـان دستورًا سمَّى لهُ في ارضنـا وُضع العمادُ
ووفَّق ملكنا نصرًا ونجحـا وسار بظلّـهِ فينـا السعادُ
ألا يا ايهـا الملكُ الفدّى اليك تشوَّفت هذي البلادُ
وفيك توسَّمت خيرًا وُعِنّا فانت بناءُ مأمالها المشادُ
أنل هذي الرعيَّة حسن أمنٍ يدومُ لـهُ بسلطتك امتدادُ
وعزّز مجلس النواب قدرًا بهِ يدنو لأمتنـا المرادُ
وأرهف حدَّ سيف الجند حتى بطولَ الامن ما طال الجهادُ

وقد أرّخ جلوسهُ السلطاني بقوله:

ألا يا شعب عثمانٍ هنأ فقد والاك في نصرٍ مُرادُكْ
وفي يوم الثلاثا أرخوهُ أقيمَ بعرش عثمانٍ رشادُكْ

وقال يوسف افندي مراد الخوري في جريدة الوفاء:

ثبتَ العرش فاعتلاهُ محمَّدْ بين مهدٍ مضى وعهدٍ تجدَّدْ
وانقضت دولة التجبّر لمَّا صدمَ الجيشُ مجدَ يلدز فاصدَّدْ
فنرى في محمَّد خير ملكٍ يخدمُ الدستور الشريف المشيَّدْ
ورأينا خلافةً قيل فيهـا عاد مجدُ الاسلام والودُ اعهدْ...
هذه الدولة التي هالت التر بَ قديمًا فهالها وتشدَّدْ
خاضها الدهر فاستكانت ولكن شانَ ان يرهب الذي يتهدَّدْ

كن على عرشها الرفيع ملكًا مُصلحًا بل مقومًا ما تأوّدْ
قبلك الآمال الكبار أُنيطت وبك الدستور الشريف تأيّدْ
وجنودٌ من حول عرشك سورٌ ومياهٌ عن حوضها الدهرُ يرتدّ
ومقامٌ يستقبل النجمَ طوعًا وقوسٌ عليك وقفٌ مؤبّدْ
ورجالٌ هم مخلصون وما قد قيل عنهم الّا الحديث المجدّدْ
هتفوا مذ تلقّت الخلافةَ شرعًا ثبت العرشُ فاعتلاهُ محمّدْ

وقال حبيب افندي زين مترجمًا عن اماني الشعب في سلطانه الجديد:

أيا من علا عرش السلاطين سائدًا تقرّرهُ جيشُ ابن عثمان سيّدا
أزلْ من بنيك الغائبين قطالا عفتهم فمالوا كالسنابل حُصّدا
وهل غيرَ مامورٍ الى بقعةٍ جرتْ دماه بنيها وهي تبغيك منجدا
هو الشعب غير العرش اصدق داعيًا بنصرك فانصرهُ ومدّ لهُ يدا
وحقّق اماني الملا بمحمّدٍ وفاك مقيل العاثرين من الردى

وقال كامل افندي فضّول في معناهُ:

يا ذا الجلالِ محمّدٌ ورشاد أمّتنا النيورْ
حقّقْ اماني أمّةٍ لم تشها عنك الدهورْ
فتحيط عرشك عصبةٌ أُسدٌ ولكن لا تجورْ
فسوس ملكك مذ بدت منها الى الاوطان تورْ
لنهامةِ الظلم نفتْ مع كل ارباب الفجورْ

وقال آخر:

محمّدُ انت اليوم سلطان دولةٍ تحاولُ بالدستور ان تلحق الدُوَلْ
ارادك احرارُ الفتاة لعرشها على املٍ سامٍ فحقّق لنا الأملْ
وجدّد لتركيا زمانَ ازدهارها وأرجع لها مجدًا ترى فيهِ أفضلْ
أسلطاننا الحرَّ المكرَّم انَّ من حواليكَ ابطالًا بهم نحن كملْ
يُلبّون ما ترجو فيمّم الى العلى بنا دون إبطاء فيُحمد مَن عذلْ
محمّدُ مرْ للمجد بالدولة التي بناها لك الاحرارُ منّا على الأسلْ
اضاع لنا عبد الحميد كرامةً ونرجو لها عودًا لتفضُلَ من قبلْ
فكن يا امير العرشِ انت مبيدها برأي ذوي رأيٍ يصون من الخطلْ

وقال علي افندي عبد الله الحسامي بقوله:

هذا الزمان صفا وقد نلنا المنا بجلوس مولانا الرشاد الأكبرِ
بمحمّدٍ سلطاننا وملاذنا فخر الورى في برّها والابحرِ

خافانا اضحى خليفتنا الذي يرعى الانام بحكمة وتدبر
حقّ علينا يا اكارم ان نجو دَ لشخصه بالنفس دون تأخر
يا ربّنا أنصرْ بالملائك ذخرنا وأدِمْ ملاذ الملك حتى المحشر

وقال بشاره افندي عبد الله الخوري مهنئا:

دُفنت اعصرُ المظالم يا شر نُ فرحّب بعصرك المسرور
وابتسم للفلاح فالتاجُ معقو دٌ على مفرق الفتى المسدود
زال عصرُ الجحود يا امم الار ض فهذا عصر الاخاء الوطيد
طمحت هذه النفوس الى المجـ ـد فلا تثنوا سبيل الورود
دونك السيف يا محمدُ واسمُ السـ ـعرش فالعرش مرتضٌ للاسود
لا بانا ذرى المعالى اذا لم يلُ عصرُ الرشادِ عصرَ الرشيد

٦ عيد العام الدستوري — خوف ورجاء

ترى لنّ الشعر قد مثّل وقائع السنة الدستوريّة الاولى احسن تمثيل ولما مرّ على هذا الانقلاب تمام العام عاد الشعراء فنظموا القصائد يذكرون فيها الدستور ويمدّدون حسناته وربما ألمّوا ببعض نقائصه. قال وطنيّنا محمّد افندي شاكر ياسين من قصيدة دعاها السرور العام لمرور العام:

كوكبُ العدل علينا سطعا وغمام الظلم عنّا انقشعا
وبشير الفوز بالبشرى سعى ورسول الحق للشورى دعا

الى ان قال:

ادرك الملكُ رشادًا جبلا لرشادٍ فيه حقًّا بويجا
ملكٌ جدّد ذكرى جدّهِ فرجونا الخيرَ فيه اجمعا

ومنها:

سنةٌ يا شرقُ مرّت فعلتْ بعد ان مرّت وساءت مرجعا
قل لمحكوم ماذا صنعا وقل الحاكم ماذا استصنعا
قد وضعنا بدلًا عن هرجك وعن البُسنا بحالٍ دُفعا
غير انّا عن كريمٍ لا نرى بدلًا الّا الطُبا والمدفعا

وقال صاحب الرغائب جناب حكمت شريف من منظومة طويلة غرّاء:

يا عبدُ انّك اكبرُ الاعيادِ لمّا اتيت بحكمةٍ ورشادِ

احييتَ اوطاناً جا لعبَ البلى دوراً عظيماً دار باستبدادِ
وبثت دستوراً بهِ نرقى الى مجدٍ اثيلٍ شامخٍ بسدادِ
بمحمدٍ تلنا الرشاد وحبنا فالفعلُ محمودٌ مدى الآمادِ
ها «شوكت» الاوطان عادت في الملا والبدر «أنور» في سما الاسعادِ
و«نيازِ» كمْ رمت العداةَ بسهمها عن قوسِ عدلٍ حُفَّ بالارشادِ

ومنها في تذكار الشهر الدستوري:

يا شهر فوز المبارك سرمدًا بين البلادِ على اختلافِ عبادِ
قد كانت القدماء تبدُ ذكرهُ فوز شهر الخير والاسعادِ
ها اننا في عاشر لك داغماً اعيادنا موصولةُ الاعيادِ
فلنشكرنَّك داغماً بلساننا وعيوننا وجوارحٍ وفؤادِ

واحسن الشاعر المطبوع حافظ افندي ابراهيم حيث قال:

مضى العامُ يسعون الشهور مباركاً تُمَدَّد آثارٌ لهُ وتُسطَّرُ
مضى غير مذمومٍ فان يذكروا لهُ هناتٍ فطبعُ الدهر يصفو ويكدرُ
وان قيل أودى بالالوفِ اجاجم عجيبٌ لقد احيا الملايين فانظروا
اذا قيس احسانُ امرئٍ باساءةٍ فأربى عليها فالاساءةُ تُغفَرُ
فتيو أفاقَ الناعون وقد انت عليهم كأهل الكهف في النوم أعصرُ

وبعد هذا العيد بأيام لمَّا عزمت الدول على استرجاع جنودها من كريت ابتدأت حركة اهل الجزيرة اذ نشروا الراية اليونانية على قلعتها فقال الشيخ امين ناصر الدين على لسان غادة كريت تدعو الأمة العثمانيَّة ومجلس نوَّابها لانقاذها من يد العدوّ:

ايملكني اليونانُ واتركُ تنظرُ وللعُرْب اسافٌ جا اليدُ تُحفَرُ
وحول فروقي من قنا الخطِّ غابةٌ تقالُ جا أُسد الكتائب ترأرُ
وفيها سريرُ الملك حُفَّ بهيبةٍ ومجلسُ نوَّابِ البلاد الموقَّرُ
بني العُرْب والاتراك اين حميَّةٌ يروع العدى منها اللظى المتسعّرُ
واين نفوسٌ ما فتئنَ الى العلى طوامحَ فيهنَّ الاباءُ الموقَّرُ
واين مواضٍ تغضبها أكفُّكم فيبدو عليهنَّ الحسام المصوَّرُ
واين الجواري تفخرُ اليمَّ هيَّا بجيشٍ حشاها باليُخار فتزفرُ
تميسُ بأثواب الحديد كأنما حسانٌ عليهنَّ الحرير المحبَّرُ
أأسبي ولي منكم حماةٌ وللورى عيونٌ الى شعب ابن شمانَ تنظرُ
أبى الله ان ترضى التخاذلَ أمّةٌ لها في العُلى يُتلى رقيمٌ مسطَّرُ

ثم انتقل الى جواب العثماني فيسكن روع الغادة ويذكّر اليونان بما اصابهم من الخذلان في حربهم الاخيرة فقال:

رويدكِ يا حسناء انّا لأمّةٌ ... دماه بنيها الصيد دونكِ تُحْذَرُ
صلابٌ قناة لا تلين لغامزٍ ... أباةُ هوانٍ عهدُنا ليس يُخْفَرُ
نعانقُ في الحرب المنايا كأنّها ... أوانسُ في غضّ الحدائق تخطرُ
وتُرجي الجواري المنشآت مُقلّةً ... مدافعَ منهنّ الردى يتفجّرُ
اذا نظمتنا والاعادي معارك ... فهامُهمُ بالمشرفيّات تُنثَرُ
منحميكِ يا حسناء من كل معتدٍ ... بأسٍ لهُ خدُّ العزيز يُصعّرُ
فشيبُنا صونُ العذارى وشأنُنا ... صدامُ الاعادي كلّما ثار عثيرُ
أظنّ بنو اليونان انّ سيوفنا ... تثلّمنَ ام أخشى عليها الأظفرُ
أم يذكروا ما كان بالأمس بيننا ... على حين خُضنا الموتَ والموت يزخرُ
صدمناهمُ تحت العجاجة صدمةً ... كما راع اسرابَ الظباء غضنفرُ
وكانت لنا منهم وقائع لم تزلْ ... احاديثها في المحافلين تكرّرُ ...
فهلّا بني اليونان هل تحسبونها ... نبتنا اقتحام الحرب والجوُّ اكدرُ
أفاتكمُ انّ الشجاعة خلّةٌ ... تميّزنا عن غيرنا حين نُذكَرُ
وانّ نفوس الصيد تصغُر في الوغى ... اذا صاح جيش الترك « الله اكبرُ »
عُرفنا بصبرٍ في السياسة ثابتٍ ... ولكنّنا في ساحة الحرب اصبرُ
نردُّ بناء السلم حتى تدومنا ... هوانًا تنبي الحربَ والله يصبرُ
تخيّمُ وفدًا توالت خطوبهُ ... لادراك امرٍ نيلهُ يتعذّرُ
وخانتْ توالي الظلم اورث شيخنا ... خمولًا واصبحنا على الدون نصبرُ
وقد يحجبُ النارَ الرمادُ والمّا ... اذا الريحُ هبّت فوقها تتسعّرُ
فمرناكمُ والملك قد كان ذاويًا ... فكيف وروضُ الملك فينانُ اخضرُ
فان ضمّ اكريتٍ بسهلٍ فدونهُ ... صدامُ الرزايا والهلاك المقدّرُ
سلكتم سبيل الغيّ دون تبصّرٍ ... ولم تعلموا انّ الصواب التبصّرُ

فمن هذه الامثلة الشعرية التي انتقيناها يتحقّق القرّاء ما صار اليه الشعر العصري من المتانة وبلاغة المعاني فكأنّ النظام الدستوري اورثهُ حياةً جديدةً فلم يَعُد الشعراء يكتفون كما في السابق بتنسيق العبارة وزخرف الكلام واشكال البديع لكنّهم يطبعون في اذهانهم الاحداث الجارية الى ان تندمج في قلوبهم فيتدفّق الشعر منها تدفّقًا فيسيل من معين. ولا عجب لانّ الشعر من الشعور فاذا امتلأ القلب فاض الفم من ملئهِ واضحى اللسان خير ترجمان عمّا يحويهِ الجنان